

تلاوة القرآن والجوائز الكبرى

د. محمود بن أحمد الدوسري

تلاوة القرآن والجوائز الكبرى

مِمَّا ورد في فضل الاجتماع على تلاوة القرآن الكريم وتعلمه ومدارسته، وبخاصة إذا كان ذلك في المسجد الذي هو مهوى أفئدة المؤمنين، حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ»^(١) بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ^(٢)، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ^(٣) وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ^(٤)، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»^(٥).

هذا الحديث من أعظم البشارات التي يُبشِّرُ بها النبي صلى الله عليه وسلم المجتمعين لتلاوة القرآن وتدارسه، فقد رَغَّبَهُمْ في مدارسته وحثهم على ذلك لما فيه من عزهم وشرفهم، وصلاح أحوالهم، ولما فيه من الأجر العظيم عند الله تعالى، سواء كان اجتماعهم في المسجد أم في غيره من المدارس أو البيوت.

قال النووي رحمته الله: «وفي هذا دليل لفضل الاجتماع على تلاوة القرآن في المسجد. وهو مذهبنا، ومذهب الجمهور،... ويلحق بالمسجد في تحصيل الفضيلة الاجتماع في مدرسة، ورباط، ونحوها إن شاء الله تعالى»^(٦).

ويدلُّ عليه حديثُ أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما: «أَنْهَمَا شَهِدَا عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم؛ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»^(٧).

وما أَظُنُّ مجلساً من مجالس الخير تتكاثر فيه البركات، وتنهل منه الرحمات، ويعود على المسلمين بالأجر الجزيل، والفضل العظيم، كمجلس قرآن فيه تدارسٌ وتعاهدٌ وتعلُّمٌ وتعليمٌ، ومن حضره نال أربع جوائز عظيمة، وهي كالاتي:



الجائزة الأولى: نزلت عليهم السكينة.

إن أول ما يُتَحَفُّ به هؤلاء المجتمعون على تلاوة القرآن وتدبره، نزول السكينة عليهم، وهي الطمأنينة والراحة النفسية، فلا يصيبهم ما يملأ قلوب الآخرين من قلق واضطراب وأمراض نفسية وعقد ومخاوف جعلت حياة هؤلاء جحيماً لا يُطاق (٨).

ومعنى السكينة: السكون والطمأنينة التي يطمئن إليها القلب ويسكن بها عن الرعب. وقيل: هي الرحمة. وقيل: الوقار. وقيل: هي ملائكة الرحمة (٩).

قال ابن حجر رحمته: «والذي يظهر أنها مقولة بالاشتراك على هذه المعاني، فيحمل كل موضع وردت فيه على ما يليق به» (١٠).

وقال النووي رحمته: «المختار أنها شيء من المخلوقات فيه طمأنينة ورحمة ومعه الملائكة» (١١).

وقد نزلت السكينة لأحد الصحابة وهو يقرأ القرآن:

فعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: كَانَ رَجُلٌ يَقْرَأُ سُورَةَ الْكَهْفِ، وَإِلَى جَانِبِهِ حَصَانٌ مَرْبُوطٌ بِشَاطِنَيْنِ (١٢)، فَتَغَشَّتَهُ (١٣) سَحَابَةٌ، فَجَعَلَتْ تَدْنُو وَتَدْنُو، وَجَعَلَ فَرَسُهُ يَنْفِرُ (١٤)، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى النَّبِيَّ صلوات الله عليه وآله وسلم فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: «تِلْكَ السَّكِينَةُ تَنْزَلَتْ بِالْقُرْآنِ» (١٥).

وفي لفظ قال البراء بن عازب رضي الله عنه: قَرَأَ رَجُلٌ الْكَهْفَ، وَفِي الدَّارِ دَابَّةٌ، فَجَعَلَتْ تَنْفِرُ، فَظَرَ فَإِذَا ضَبَابَةٌ أَوْ سَحَابَةٌ قَدْ غَشِيَتْهُ. قَالَ: فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صلوات الله عليه وآله وسلم. فَقَالَ: «اقْرَأْ، فَلَانَ! فَإِنَّهَا السَّكِينَةُ تَنْزَلَتْ عِنْدَ الْقُرْآنِ، أَوْ تَنْزَلَتْ لِلْقُرْآنِ» (١٦).

«قال الطيبي: فإن المؤمن تزداد طمأننته بأمثال هذه الآيات إذا كوشف بها» (١٧).



وهذا الرجل الذي كان يقرأ القرآن قيل: هو أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

وكثيراً ما يمتنُّ اللهُ جلَّ جلاله على رسوله ﷺ وعلى عباده المؤمنين بتنزل
السكينة عليهم؛ لأنها فضلٌ عظيمٌ من الله تعالى، وراحةٌ عظيمةٌ للمؤمن، قال الله
تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾
{الفتح: ٤}.

فقد امتنَّ اللهُ تعالى على عباده المؤمنين بإنزال السكينة في قلوبهم.

وهي: السكون والطمأنينة، والثبات عند نزول المحن المقلقة، التي تُشوش
القلوب، وتضعف النفوس. فمن نعمة الله على عبده في هذه الحال أن يثبتته، ويربط
على قلبه، وينزل عليه السكينة، فيزداد بذلك إيمانه، ويتم إيقانه.

فالصحابة رضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، لما جرى بين رسول الله ﷺ وبين المشركين، من تلك
الشروط، التي ظاهرها، أنها غضاضةٌ عليهم، وخطٌّ من أقدارهم، وتلك لا تكاد
تصبر عليها النفوس.

فلما صَبَرُوا عَلَيْهَا، ووطنوا أَنفُسَهُمْ لَهَا، ازدادوا بذلك، إيماناً مع
إيمانهم (١٩).

والقلوب كثيراً ما تمتلئ بالهموم والأحزان والاضطرابات، فإذا ما جلس المؤمن
مع إخوته يتحلّقون حول كتاب الله تعالى ويتدارسونه فيما بينهم زال كل ذلك عنهم
ونزلت عليهم السكينة.

فأين أولئك الذين يلتجئون إلى العيادات النَّفْسِيَّة ليتخلصوا من همومهم وآلامهم
النَّفْسِيَّة التي تُحاصرهم، أين هم من المجالس التي تنزل على أصحابها السكينة،
فليفروا من مجالس المعاصي والآثام والموبقات إلى مجالس النور والسكينة؛ ليغسلوا



قلوبهم، ويظهرُوا أنفسهم، ويرتاحوا من آلامهم (٢٠).

الجائزة الثانية: غشيتهم الرحمة.

الرحمة قريبة من أهل القرآن، بل تغشاهم في مجالسهم، وأهل هذا المجلس هم من المحسنين كما قال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ {الأعراف: ٥٦}.

وجزاء أهل الإحسان عند الله عظيم، فإنَّ: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ {الزمر: ٣٤}. ويقال لهم: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ {المرسلات: ٤٤}.

واللهُ تعالى يُحبُّهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ {البقرة: ١٩٥}.

ورحمة الله تعالى خير لهم مما يجمعه أهل الدنيا، كما قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ {الزخرف: ٣٢}. عند ذلك نعلم يقيناً أن ما يجنيه أهل مجلس التلاوة والمدارسة من الخير العظيم لا يوازيه كل شيء يجمعه أهل الدنيا من الحطام الزائل.

وقد سَمَّى اللهُ تعالى وحيه إلى أنبيائه بالرحمة، كما قال تعالى مُخْبِراً عن نوح ﷺ: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ﴾ {هود: ٢٩}. يشير إلى ما اختصه الله تعالى من الوحي والعلم والحكمة.

وكذلك قال صالح ﷺ: ﴿وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً﴾ {هود: ٦٣}.

ومن باب أولى أن يُسمى القرآن العظيم بالرحمة، فقد قال الله تعالى لنبيه الكريم ﷺ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ



لِلْمُسْلِمِينَ ﴿النحل: ٨٩﴾ (٢١).

وإذا كانت رحمةُ الله قد وسعت كلَّ شيءٍ، وأحاطت بكلِّ شيءٍ، كما قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]. فهي بَأَنْ تَسَعَ أَهْلَ الْقُرْآنِ وَتُؤَلِّتَهُ أَحَقُّ وَأَجْدَرُ (٢٢).

الجائزة الثالثة: حَقَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ.

فَتَحَقُّهُمُ الْمَلَائِكَةُ الْكِرَامُ بِأَجْنَحَتِهَا تَشْرِيفًا وَتَعْظِيمًا لَهُمْ، وَلَمَّا اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ.

وقد نزلت الملائكة الكرام وندت من الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو يقرأ القرآن الكريم: فعن أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ قَالَ: بَيْنَمَا هُوَ يَقْرَأُ مِنَ اللَّيْلِ سُورَةَ الْبَقَرَةِ، وَفَرَسُهُ مَرْبُوطٌ عِنْدَهُ، إِذْ جَالَتْ الْفَرَسُ، فَسَكَتَ فَسَكَتَتْ، فَقَرَأَ فَجَالَتْ الْفَرَسُ (٢٣)، فَسَكَتَ وَسَكَتَ الْفَرَسُ، ثُمَّ قَرَأَ فَجَالَتْ الْفَرَسُ، فَانصرفت، وكان ابنه يحيى قريباً منها، فأشفق أن تُصِيبَهُ، فَلَمَّا اجْتَرَهُ (٢٤) رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ حَتَّى مَا يَرَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ حَدَّثَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ، اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ». قَالَ: فَأَشْفَقْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ تَطَأَ يَحْيَى، وَكَانَ مِنْهَا قَرِيبًا، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَانصرفتُ إِلَيْهِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي إِلَى السَّمَاءِ، فَإِذَا مِثْلُ الظِّلَّةِ (٢٥) فِيهَا أَمْثَالُ الْمَصَابِيحِ، فَخَرَجْتُ حَتَّى لَا أَرَاهَا، قَالَ: «وَتَدْرِي مَا ذَاكَ». قَالَ: لَا، قَالَ: «تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ دَنَتْ لِمِصْرَتِكَ، وَلَوْ قَرَأْتَ لِأَصْبَحَتْ يَنْظُرُ النَّاسُ إِلَيْهَا، لَا تَتَوَارَى مِنْهُمْ» (٢٦).

وفي الحديث السابق، كان يقرأ بسورة الكهف، وهنا كان يقرأ بسورة البقرة، وهذا يدلُّ على تعدُّد القصة.

قال ابن حجر رحمته: «قال النووي: في هذا الحديث جوازُ رؤيةِ آحادِ الأمةِ



للملائكة، كذا أطلق، وهو صحيح، لكن الذي يظهر التقييد بالصالح مثلاً والحسن الصوت، قال: وفيه فضيلة القراءة وأنها سبب نزول الرحمة وحضور الملائكة. قلت: الحكم المذكور أعم من الدليل، فالذي في الرواية إنما نشأ عن قراءة خاصة من سورة خاصة بصفة خاصة، ويحتمل من الخصوصية ما لم يذكر، وإلا لو كان على الإطلاق لحصل ذلك لكل قارئ» (٢٧).

وتنزلت الملائكة كذلك في مواقف الرسول ﷺ والمؤمنين في قتال الكافرين، وهي من أكرم المواقف عند الله تعالى: ﴿بَلَىٰ إِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٥].

وكذلك تنزل في ليلة القدر، أعظم الليالي عند الله تعالى: ﴿تَنزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾ [القدر: ٥].

وهي كذلك تنزل لتحف المؤمنين، وهم يتلون القرآن العظيم ويتدارسونه فيما بينهم، وتنزل معها المغفرة والرحمة ورضى الله تعالى (٢٨).

الجائزة الرابعة: ذكرهم الله فيمن عنده.

وتلك هي الجائزة الكبرى والمنة العظمى في الدنيا، حيث يذكره الله تبارك وتعالى في الملائكة الأعلى باسمه، وليس بعد هذا الشرف من شرف، ولا بعد تلك الكرامة من كرامة ينالها الإنسان في الدنيا.

ومعنى: ﴿ذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ﴾ أثنى عليهم، أو أثابهم فيمن عنده من الأنبياء والملائكة الكرام (٢٩).

فأي مكانة أكرم وأعظم من أن يذكر الله جلَّ جلاله وتقدَّست أسماؤه عبده الفقير الضعيف فيمن عنده في الملكوت الأعلى!.



وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُ» (٣٠).

ولقد ندب الله عباده المؤمنين إلى ذكره فقال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكَرْكُمْ﴾
[البقرة: ١٥٢]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: ذَكَرَ اللَّهُ إِيَّاكُمْ أَكْبَرُ مِنْ ذِكْرِكُمْ إِيَّاهُ.
وقال سعيد بن جبيرة رضي الله عنه: اذكروني بطاعتي أذكركم بمغفرتي (٣١).

فإِذَا عَلِمَ الْمُسْلِمُ أَنَّ عَظِيمًا مِنَ الْعِظَمَاءِ ذَكَرَهُ أَمَامَ حَاشِيَتِهِ أَوْ خَاصَّتِهِ بِخَيْرٍ وَأَثْنِي عَلَيْهِ، أَلَا تَمْتَلِي نَفْسَهُ غِبْطَةً وَسُرُورًا، وَيَسْتَبْشِرُ بِذَلِكَ؟

وَلِلَّهِ الْمِثْلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَكَيْفَ إِذَا عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ يَثْنِي عَلَيْهِ فِي الْمَلَكُوتِ الْأَعْلَى؟ أَلَا يَسْتَبْشِرُ وَيُسْرُّ؟

فَإِنَّ هَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْحَوَافِزِ وَالذَّوَابِعِ إِلَى الْمَسَارَعَةِ إِلَى مَجَالِسِ الْقُرْآنِ الْمُبَارَكَةِ تِلَاوَةً وَتَدَارِسًا وَتَدَبُّرًا وَعَمَلًا.

فَهَنِيئًا لِأَهْلِ الْقُرْآنِ بِهَذَا الْفَضْلِ الْعَظِيمِ وَالْمَنْزِلَةِ الرَّفِيعَةِ، وَعَجَبًا مِمَّنْ يَزْهَدُ وَيَتَكَاسَلُ أَوْ يُعْرَضُ عَنِ مَجَالِسِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ (٣٢).



الهوامش:

- (١) (يتدارسونه): يقرؤونه ويتعهّدون تلاوته. وقيل: التّدارسُ قراءةُ بعضهم على بعضٍ تصحيحاً لألفاظه، أو كشفاً لمعانيه. «انظر: تحفة الأحوذى، (٢٦٨/٨). النهاية في غريب الحديث، (١١٣/٢)، مادة: (درس)».
- (٢) (السكينة): الوقار والتّأني والسكون. وقيل: الرّحمة. وقيل: خلُقٌ رقيق كالريّح والهواء. «النهاية في غريب الحديث، (٣٨٦/٢)، مادة: (سكن)».
- (٣) (غشيتهم الرّحمة): أي غطّتهم الرّحمة. وغشاه تغشياً إذا غطاه، وغشي الشيء إذا لابسه. «النهاية في غريب الحديث، (٣٦٩/٣)، مادة: (غشي)».
- (٤) (حفّتهم الملائكة): أي دارت حولهم. «النهاية في غريب الحديث، (٤٠٨/١)، مادة: (حفف)».
- (٥) رواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، وعلى الذكر، (٢٠٧٤/٤)، (ح ٢٦٩٩).
- (٦) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، (٢٤/١٧).
- (٧) رواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، وعلى الذكر، (٢٠٧٤/٤)، (ح ٢٧٠٠).
- (٨) انظر: ورتل القرآن ترتيلاً، (ص ١٥).
- (٩) انظر: تحفة الأحوذى، (١٥٦/٨).
- (١٠) فتح الباري، (٥٧/٩).
- (١١) صحيح مسلم بشرح النووي، (٨٢/٦).
- (١٢) (شَطْنَيْن): بفتح الشين المعجمة والطاء، تشية شطن، وهو الحبل الطويل. وإنما شدّه بشطين لقوته وشدّته. «النهاية في غريب الحديث، (٤٧٥/٢)، مادة: «شطن»».
- (١٣) (تَغَشَّتْهُ): أي: علّته وقربت منه. «النهاية في غريب الحديث، (٣٦٩/٣)، مادة: «غشا»».
- (١٤) (يَنْفِرُ): أي: يثب ويجول. «صحيح مسلم بشرح النووي، (٨٢/٦)».
- (١٥) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب: فضل سورة الكهف، (١٦١٥/٣)، (ح ٥٠١١).
- (١٦) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب: نزول السكينة لقراءة القرآن، (٥٤٨/١)، (ح ٧٩٥).



- (١٧) تحفة الأحوذى، (١٥٦/٨).
- (١٨) انظر: فتح الباري، (٥٧/٩).
- (١٩) انظر: تفسير السعدي، (٤٤/٥).
- (٢٠) انظر: أنوار القرآن، (ص ١٠٧ - ١٠٨).
- (٢١) انظر: النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى، (٧٨/١).
- (٢٢) انظر: المصدر السابق، (ص ١٠٩ - ١١٠).
- (٢٣) (جَالَتْ الْفَرَسُ): أي: وثبت واضطربت. قال في هذه الرواية: «جالت» فأنت الفرس وهو صحيح؛ لأن الفرس يطلق على الذكر والأنثى. «انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، (٨٣/٦)».
- (٢٤) (فَلَمَّا اجْتَرَهُ): بجيم ومثناة وراء ثقيلة، والضمير لولده، أي: اجتراً ولده من المكان الذي هو فيه حتى لا تطأه الفرس. «انظر: فتح الباري، (٦٤/٩)».
- (٢٥) (الظُّلَّةُ): هي ما يقي من الشمس. كسحاب، أو سقف بيت. «صحيح مسلم، (٥٤٨/١)».
- (٢٦) رواه البخاري، واللفظ له، كتاب فضائل القرآن، باب: نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن، (٣/١٦١٧)، (ح ٥٠١٨). ومسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب: نزول السكينة لقراءة القرآن، (٥٤٧/١)، (ح ٧٩٦).
- (٢٧) فتح الباري، (٨١/٩).
- (٢٨) انظر: أنوار القرآن، (ص ١١٠).
- (٢٩) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، (٢٣٠/٤).
- (٣٠) رواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: فضل الذكر والدعاء، (٢٠٦٨/٤)، (ح ٢٦٧٥).
- (٣١) انظر: تفسير ابن كثير، (٤١٩/١).
- (٣٢) انظر: أنوار القرآن، (ص ١١١). ورتل القرآن ترتيباً، (ص ١٥).



هذا الكتاب منشور في

